(٤٦)

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [سورة آل عمران الآية ١٨٨].

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [سورة آل عمران الآيتان ١٩٠، ١٩١].

﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [سورة التوبة الآيات من ٧٥ – ٧٧].

* * *

«المدينـــة فى جمادى الآخرة ســـنة ٣ هـ، قد مضت أشهر على رحيل العزيزة الغالية رقية ابنة الرحمـــة المهداة - ﷺ - مصاب عثمان بن عفان فيها مصابٌ مزدوج.. فقد برحيلها الزوجة الرءوم التى شاركته واحتملت معه امتحان الأيام وغربة الهجـــرة الأولى إلى الحبشـــة، ولم تكد تفىء معه إلى هجرتهمـــا الثانية بيثـــرب، حتى امتحنتهما الأقدار، وفقـــدا ابنهما عبد الله، ليداهمها مرض لم يفارقها حتى رحيلها إلى رحمة الله.. أن عثمان ليضنيه فراقها، ويضنيـــه أيضًا انقطاع مصاهرته لرســـول الله - ﷺ - إنه ليعلم أنه عليه السلام يحبه ويؤثره، ولكن أتراه يســـبغ عليـــه مصاهرة نبوية ثانية ليجتمع له ما لم يجتمع لسواه؟! إنه ليعلم أن حظ أم كلثـــوم قد ارتبط بحظ الراحلة العزيزة الغالية رقية.. كانتًا معًـــا زوجتين لعتبة وعتيبة ابنى أبى لهب، ولقيتا معًا من العناء والعنت من أم جميل حمالة الحطب حتى نجح أبو لهب فى إجبار ولديه على تطليقهما ضيقًا برســـالة محمد المصطفـــى عليه السلام.. إن عثمان ليتطلع إلى مصاهرة نبوية تكفكف عنه رحيل العزيزة الغالية، وتصله بالرحمة المهداة الذى انزرع حبه فى فؤاده وصار أحب لديه من نفســـه.. ولكن كيف السبيل؟! ! وإنه لفى مجلســـه إلى الرسول عليه السلام، سابح فى همومـــه وأفكاره وأمانيـــه.. ينتبه علـــى كلمات الرحمة المهداة عليه السلام».

النبى : (لعثمان) ما لى أراك مهمومًا يا عثمان؟!

عثمان : (حزينًـــا) يا رســول الله، وهل دخــل على أحد ما دخل علــىّ؟! ماتت رقية بنت رســول الله التــى كانت عندى، وانقطع ظهرى، وانقطع الصهر الذى كان بينى وبينك..

«النبى عليه السلام تتغشــاه ذكريات رحيل رقية، ومن قبلهــا الغالية الحبيبة خديجة التى أعقبت له بناته.. يدرك صــدق إخلاص ومحبة عثمان، وتلهمــه البداهة النبوية أن عثمان يتهيب من أن يلمح إلى أمله فى صهر آخر بالزواج من أم كلثوم.. وإن النبى عليه السلام لفى خواطره يهتف به الوحى أن يزوجها عثمان.. يشرق وجه النبى عليه السلام بالرضا والغبطة، ينظر حانيًا إلى صاحبه عثمان..».

النبى : (حانيًا) يا عثمان، هذا هو جبريل عليه السلام يأمرنى عن الله عــز وجل أن أزوجك أختهــا أم كلثوم، على مثل صداقها، وعلى مثل عشرتها..

«تنفرج أســارير عثمان غبطةً وســرورًا، بينما ينهض النبــى عليه السلام إلى داره ليعرض الأمر على ابنته أم كلثوم داعيًا إياها أن توافق على ما ألهمَ به الوحى وارتضاه أبوها..».

* * *

«بيــت النبــى عليه السلام، يســتأذن عليــه عمر ابن الخطاب بــادى الحزن والضيــق.. لا يكاد يلقــى بتحيته حتى يبتــدره النبى - ﷺ - وقد أحس ما به..».

النبى : ما لك يا عمر؟!

عمر : (آسيًا) ابنتى حفصة! قد تأيمت بعد وفاة زوجها خُنَيْس ابن حذافة بن قيس السهمى.. (يستأنف بمرارة) عرضتها على عثمان بن عفان فقال: ما لى بالنساء حاجة!

«النبى عليه السلام ينصت فى تعاطف وحنو..».

(يستأنف) لقيت بعدها أبا بكر فعرضتها عليه فسكت! ألا تعجب يا رسول الله من أمر عثمان أراه حزينًا جزعًا بعد وفاة زوجه فأعرض عليه حفصة فيعرض عنى، ثم يسكت أبو بكر بعد أن عرضتها عليه؟!

النبى : (حانيًا) يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة!

عمر : (مرددًا وقد أخذته المفاجأة) يتزوج حفصة من هو خير من عثمان؟!

(يستأنف وقد أشرقت فى خاطره لمحة مضيئة) أيتزوج رسول الله ابنتى حفصة!!

النبى : (مومئًا) ويتزوج عثمان من أم كلثوم بنت محمد..

«تشرق أنوار المسرات على وجه عمر ابن الخطاب، يطير فرحًا بالخبر إلى حفصة وإلى الصحابة، بينما ينادى النبى عليه السلام على ابنته أم كلثوم.. تسمع لأبيها راضية بما اختار، سابحة فى مزيج من المشاعر المتباينة، تمتزج فيها المسرات بأطياف حزينة على الراحلة العزيزة الغالية رقيّة.. تختلط دموع الفرح بعبرات الأحزان!».

* * *

«المدينة وقد ماجت بأفاعيل اليهود والمنافقين.. شـيطانهم واحد، وأساليبهم واحدة.. اليهود مع مـا يكتمونه من أمر ما جاء فى كتبهم عن مبعث محمد، وافتضاح دسهم وكيدهم وتأليبهم، يلتزمون المداهنـة والمصانعة.. لا يجدون بأسًـا فى النفاق وادعاء الأكاذيب واصطناع نقيض ما يضمرونه من بغض ومقت وتخذيل.. يحجبون ما فى التوراة، ويخـبرون بغـيره، ويتظاهـرون بأنهـم يبدون ما سـئلوا عنه.. يدعون لأنفسهم ما ليس فيهم، ويتباهـون بأفعـال من صنع خيالهم.. يجاريهـم فـى هـذا كلـه طوائف المنافقـين بالمدينة.. إذا خـرج النبى أو المسـلمون فـى غزوة أو سرية أو بعثة، تخلفوا وقعدوا واختلقوا الذرائع والمعاذير، حتى إذا قدم المسلمون اعتذروا إلى الرسول عليه السلام وحلفوا، وأقسـموا كاذبين.. يحبون أن يحمدوا كاليهود بما لم يفعلوا!!».

«النبـى - ﷺ - فى تعبده وتبتله، وضراعته إلى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوحـى إليه من كلمات ربه...».

جبريل : (يتلـو علـى محمـد) ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران الآيات من ١٨٧ - ١٨٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«أفكار المدخولين فى عقائدهم تتشتت وتهذى وتخرف.. يضربون فى كل سبيل، ولا يلتفتون إلى آيات الله المعجزة فى خلقه.. يتوقف مشركو قريش عند ما تدعيه أو تتباهى به يهود أن موسى أتاهم بعصاه وبيده أخرجها بيضاء للناظرين!! أو ما تقوله النصارى عن إبراء الأكمه والأبرص أو إحياء الموتى.. لا يفهمون ولا يفقهون إلا بالقوارع الحسية.. بالأمس سألوا النبى عليه السلام فى مكة أن يجعل لهم الصفا ذهبًا.. يظنون النبى تاجرًا يغدق بالأرباح والمكاسب، ويعجزون عن رؤية أنوار الهداية، ولا يلتفتون إلى آيات الله الدالة على عظيم صنعه وكمال خلقه..».

«النبى - ﷺ - فى خلوته يتهجد ويتحنث ويبتهل إلى ربه.. يوافيه جبريل عليه السلام فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى

خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

[سورة آل عمران الآيات من ١٩٠ – ١٩٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى.. النبى يخرج إلى الصحابة فيتلو عليهم ما تنزل من القرآن الحكيم.. يسمعون فى خشوع..».

النبى : (للصحابة) ويل لمن قرأها ولم يتفكر!

* * *

«حى من أحياء الأنصار.. ثعلبة بن حاطب من الأنصار جالس إلى بعض المسلمين.. يبدى عناية بطلب السعة والثراء.. يقول لأصحابه من الأنصار..».

ثعلبة بن حاطب : أشهدكم الله، لئن آتانى الله من فضله، آتيت منه كل ذى حق حقه، وتصدقت، ووصلت القرابة!

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. النبى ﷺ فى رهط من صحابته من المهاجرين والأنصار وعامة المسلمين.. يأتى ثعلبة بن حاطب الأنصارى.. لا يكاد يجلس حتى يبتدر سائلاً..».

ثعلبة بن حاطب : يا رسول الله؛ ادع الله أن يرزقنى مالاً!

النبى : ويحك يا ثعلبة.. قليل تؤدى شكره، خير من كثير لا تطيقه!

ثعلبة : (ملحًا) سألتك يا رسول الله أن تدعو الله تعالى أن يرزقنى مالاً!

النبى : أما ترضى يا ثعلبة أن تكون مثل نبى الله؟! فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبًا وفضة لسارت!

ثعلبة : (يزداد إلحاحه) والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا، لأعطين كل ذى حق حقه.

النبى : (على مضض) اللهم ارزق ثعلبة مالاً..

«ثعلبة يتغشاه السرور، وينهض راضيًا مطمئن الخاطر إلى دعوة الرسول ﷺ..».

* * *

«المدينة، وقد دار الزمان دورته، وأقبلت الأيام على ثعلبة بن حاطب، فاتخذ غنمًا ضاقت عليه المدينة حتى انطلق بقطعانه إلى الأودية.. تنمو ثروته فينشغل بها عما سواها.. أخذ يتآكل زهده ويتناقص تعبده.. جعل لا يصلى إلاَ الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما.. تخفت

عبادته حتى لا يـكاد يصلى إلاَ صلاة الجمعة..
لا يعنيه ولا يشـغله إلاَ الثروة التى حطت عليه
وأخذت تتزايد حتى تحدثت بها الركبان!».

* * *

«المسـجد النبوى بالمدينـة، النبى عليه السلام فى
صحابتـه وقد وفد وافدون مـن الوديان المحيطة
بالمدينة..».

النبى : (سائلاً) ما فعل ثعلبة؟

الوافدون : قـد أقبلت عليه الدنيا، ورزقه الله من حيث لا يدرى ولا يحتسـب.. ضاقت المدينة بأغنامه فانطلق بها إلى الوديان، ولم يعد أحد يراه إلاَ فى صلاة الجماعة يوم الجمعة.. ولعله يتخلف عنها من وقت لآخر؟!

النبى : (آسيًا) يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة!!

* * *

«بعـد فـترة، مضـارب ثعلبة بـن حاطب
بالقـرب من المدينـة، وقـد أقبلت عليه النعم..
يمر به مبعوثان من قبل النبى - ﷺ - يسألانه
تلبيـة أمر الرسـول عليه السلام أن يؤدى نصيبه مـن
الصدقة..».

ثعلبة بن حاطب : (يردد متضررًا) صدقة؟!

المبعوثان : هذا هو كتاب رسول الله - ﷺ..

«ثعلبة يقرأ، فينعقد لسانه..»

ثعلبة : هل هى جزية؟!

المبعوثان : هذه صدقة تنزلت بها آيات الله على النبى - ﷺ - قال له ربه سبحانه وتعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة التوبة الآية ١٠٣].

ثعلبة : (معترضًا) ما هذه إلا جزية! ما هذه إلاَ أخت الجزية! ما أدرى ما هذا؟!

المبعوثان : هذه صدقة..

ثعلبة : (متحايلاً) انطلقا حتى تفرغا من جمع الصدقات، ثم عودا إلىّ!

* * *

«المبعوثان بمضارب السُّلمى.. واحد من خيار المسلمين.. ما إن يسمع بمقدمهما وغايتهما حتى ينظر إلى خيار أسنان إبله فيعزلها للصدقة، ويقدمها إليهما»..

المبعوثان : ما يجب عليك هذا، دونه يكفيك.. وما نريد أن نأخذ هذا منك!

السلمى : بلى، فخذوها.. فإن نفسى بذلك طيبة..

* * *

«المبعوثان فى طريق عودتهما يمران بمضارب ثعلبة.. يستقبلهما مغبر الوجه ضيق الصدر كئيب الطلعة..».

ثعلبة : أريانى كتابكما أقرأه!

المبعوثان : ألم تقرأه؟!

«يعـــاودان تقديم الخطاب إليه.. لا يكاد يفرغ من قراءته حتى ينتفض معترضًا!!».

ثعلبة : ما هذه إلاَ جزية.. ما هذه إلا أخت الجزية.. انطلقا حتى أرى رأيى!

«ينصرفان..»

* * *

«المســجد النبوى بالمدينة.. المبعوثان يطلعان النبى عليه الســلام على ما كان من أمر الســلمى وصنيعه، وما فعله ثعلبة.. يدعو عليه السلام للسلمى بالبركــة، ولا يزيــد عن أن يقول بشــأن ثعلبة: يا ويح ثعلبة!!.. يصنع البعض صنيعه فيبخلون، بينما يســخو آخرون فيتصدقون كما فعل السلمى بالشىء الكثير.. يســتغنى المسلمون عن صدقات الباخلين!!».

«النبــى – ﷺ – فى خلوتــه يتعبد ويتهجد ويناجى ربه، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ

وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ [سورة التوبة الآيات من ٧٥ – ٧٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«الإسلام يجاهد من أجل تنقية مجتمع المدينة من الأدران وقاية للقلوب التى تطهرت من أن تغريها المفاسد والشهوات.. لم يكن مجتمع المدينة قبل الإسلام بمعزل عما كان بمكة من مواخير وبغايا ومجون.. وجد المسلمون بالمدينة ما كان بمكة: بغايا مسافحات يكرين أنفسهن ويجمعن من هذه المسافحة المال الوفير.. كانت البغايا بمكة والمدينة كثيرات.. منهن نحو تسع صواحب راية.. لهن رايات تومئ إلى مواخيرهن.. يستدل بها الناس على حانات المجون والمسافحة.. يعرف الناس «أم مهدون» جارية السائب ابن أبى السائب المخزومى، و«أم غليظ» جارية صفوان ابن أمية، و«حية القبطية» جارية العاص ابن وائل، و«مرية» جارية ابن مالك بن عمثلة ابن السباق، و«جلالة» جارية سهيل بن عمرو، و«أم سويد» جارية عمرو بن عثمان المخزومى، «شريفة» جارية زمعة بن الأسود، و«قرينة» جارية هشام بن ربيعة، و«فرتنا» جارية هلال ابن أنس.. المدينة تعج بأمثال هذه المواخير مثلما

تعج بها مكة، يختلف إليها الماجنون والمشركون والزنـــاة وطلاب المتعة الحـــرام!!.. بغايا المدينة على يســـار وبحبوحة يغريان الفقراء والمساكين.. قد لا يجد بعضهم بأسًـــا من أن يفكر فى الزواج بواحدة منهن تكفيـــه الفقر والإملاق وتقوم بأوده إلى أن يخرج من فقره ومســـغبته!! الإسلام ينظر إلى هؤلاء الفقراء بإشـــفاق.. فى المســـجد النبوى جُعـــل لأهل الصفة ركن فســـيح يأوون إليه، ولم يـــدع المهاجرون والأنصار وســـيلة للمســـاعدة إلا بذلوهـــا فى محبة ومودة ورحمة.. الإســـلام طهر القلـــوب والأفئدة، ويتغيا طهـــارة مجتمع المدينة من هـــذه المغريات والأدران وقايـــة للمؤمنين من النفـــس الأمارة! يتحادث المســـلمون فى أمر «أم مهزول».. إحدى البغايا المسافحات.. أثرت من البغاء حتـــى باتت تغرى من يتقدم لزواجها بأن تكفيه النفقة!!

* * *

«فـــى هذا الجو الخانـــق.. الصحابى مَرْثد بن أبى المرثد الغنوى فى إحدى مهامه المتوالية بين المدينة ومكـــة للإتيان بأسارى وضعاف المسلمين والمحتجزين لدى الكفار بمكة..».

«فى ليلة مقمرة، مرثد ينتهى إلى حائط بمكة، فـــى انتظار واحد من الأســـارى تواعد وإياه على

اللقـاء بهذا المكان لينطلق بـه إلى المدينة.. مرثد في وقفته محوطًا بعتامة الليل يتناهى إليه صوت نسائى يناديه..».

المرأة : مرثد؟!

مرثد : مرثد.

المرأة : مرحبا بك وأهلاً.. هلم فَبِتْ عندنا!

* * *

«مرثـد يتفرس فى المـرأة فيتعرف عليها رغم الظـلام.. يتبين ملامحها فى ضـوء القمر.. إنها «عنـاق»، إحدى بغايا مكة.. كـم اختلف إليها فى الجاهلية حتى نشأت بينهما مودة وغمرتهما محبات.. ها هى تدعوه أن يبيت لديها..

مرثد : يا عناق حرم الله الزنى!

عناق : (منادية) يا أهل الخيام.. هذا الرجل يحمل أسراءكم!

«يطـير مرثد ملاحقًا بنحـو ثمانية من الرجـال يسـلك «الخندمـة» (جبل بمكة).. يـأوى إلى غار يتـوارى فيـه عن عيونهم حتـى انصرفوا.. ما إن اطمأن مرثـد إلـى رحيلهم، حتى عاد تحت جنح الليل إلى موضع صاحبه، احتمله بعد أن فك قيوده، وانطلق معه إلى المدينة حيث الرحمة المهداة..».

* * *

«المسـجد النبوى بالمدينة.. مرثد يتهيأ للقـاء النبـى ﷺ.. يسـتعرض ما كان مـع عناق.. إنها لتؤثره وتحبه، ولكنـه لا يأمن مكر وانتقام

الإنـــاث.. وإنه ليتردد على مكـــة جيئة وذهابًا، لنجدة أســـارى وضعاف المســـلمين والمحتجزين هناك.. وإنه ليخشـــى أن تتربص بـــه فتؤذيه.. زواجـــه منهـــا يضمن لـــه ولاءهـــا، ولا يجد فى ذلـــك غضاضة.. إذ تربطهما مـــودة ومحبات من ســـنوات.. يتقدم مرثد إلى النبى عليه السلام فيروى له ما كان، ثم يسأله مترددًا على استحياء!!».

مرثد : يا رسول الله، هل أنكح عناق؟!

«النبـى عليه السلام يمسك، ولا يجيب!!»

* * *

«بعـــد أيام.. النبى - ﷺ - مشـــغول الخاطر على المســـلمين.. يخشـــى عليهم من هذا الدنس والجو الموبوء الذى لا تزال بعض أنفاســـه تتردد فى المواخـــير بالمدينة ومكة.. وإنه - ﷺ - لفى تأملاتـــه وتعبده وتهجده ومناجاتـــه ربـــه، يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة النور الآية ٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينـــة.. لا تـــزال بعض عـــادات الجاهلية ضاربة بجذورها وأطنابها فى الجفاة والأعراب..

لا يورثون الإناث، ويستبعدون الصغار وإن كانوا ذكورًا من الميراث.. لا يورثون إلا الكبار، ويضنون بـالإرث على الإناث.. يقولـون لا نعطـى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وحاز الغنيمة!!».

«النبى - ﷺ - فى صحابته وعامة المسـلمين بالمسـجد النبوى.. تأتى امرأة ممرورة شـاكية.. يقال لها أم كحة أو أم كُجَّة.. يفسح لها المسلمون حتى تقترب من الرحمة المهداة..».

أم كحة : (للمسلمين) يا نبى الله، توفى زوجى أوس بن ثابت وترك لى ابنًا صغـيرا وابنتيـن.. وقد ترك مالاً حسـنًا.. وهو عند شقيقيه: سويد وعرفجة.. لم يعطيانى ولا صغيرى ولا بنتىَّ منه شـيئًا.. وأنا امرأة ليس عندى ما أنفق به على عيالى.. هـم فـى حجـرى، ويأبـى سـويد وعرفجـة أن يعطيانـى أو يطعمانى أو يسقيانى.. ولا يرفعان للعيال رأسًا!!

«النبى - ﷺ - ينادى أحد المسلمين، فيرسله فى طلب سويد وعرفجة..».

* * *

«فـى المسـجد النبـوى.. النبـى عليه السلام فى مجلسـه، يأتيه سـويد وعرفجة، باديى الغلظة والجفـاء.. ينقل إليهما المسـلمون ما تشـكو منه أرملة أخيهما الراحل..».

سويد وعرفجة : (يبادران) يا رسول الله، إنه قد ترك إناثًا، وولدها صغير.. لا يركب فرسًا، ولا يحمل كلاً، ولا ينكى عدوًا..

النبى : انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لى فيهن..

«ينصرفون..»

* * *

«النبـى – ﷺ – فى خلوتـه يتهجد ويتعبد ويناجى ربه.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلـو علـى محمـد) ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [سورة النساء الآيات من ٧ – ١٠].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. المسلمون يجلسون إلى النبى عليه السلام، يسمعون منه.. يبثونه ما يطوف بهم ويسألونه فيما يستغلق عليهم.. يتلقون عنه الدين، وينصتون إلى ما يتنزل من الذكر الحكيم.. يتلو عليهم – ﷺ – ما نزل به الوحى من سورة البقـرة.. ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم

بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٨٤].. يتساءل المسلمون فى إشفاق من حسابهم على ما عساه تتحدث به أو تخفيه سرائرهم.. يخافون ألاّ يبلغوا هذه المراقى فتحبط أعمالهم!».

بعض المسلمين : يا رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق.. الصلاة، والصيام، والصدقة، والجهاد.. وقد أنزل الله عليك ما قد لا نطيقه..

النبى : (مترفقًا) هكذا نزلت.. أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟!

المسلمون : حاشانا أن نقول ذلك!

بعضهم : إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت فى قلبه وأن له الدنيا وما فيها، وإنّا لمؤاخذون بما تحدث به أنفسنا؟! هلكنا والله!

النبى : قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير..

المسلمون : (يرددون) سمعنا وأطعنا.. غفرانك ربنا وإليك المصير.

«المسلمون وقد أحسوا فداحة ما زلف على ألسنتهم.. يستعبرون، ويرددون الدعاء حتى رطبت به ألسنتهم: سمعنا وأطعنا.. غفرانك ربنا وإليك المصير.. تتصاعد أدعيتهم إلى رحاب السماء..».

* * *

«النبى - ﷺ - فى تعبده، يناجى ربه ويبتهل إليه، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [سورة البقرة الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦].

(يرتفع الوحى)

* * *